

الإستراتيجية الخطابية وكفاءات التواصل اللغوي (مقاربة تداولية)

د. عمار بعداش.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة.

ملخص:

يعرض هذا المقال مصطلحا تداوليا لسانيا، عابرا للتخصصات باعتبار نشأته الأولى؛ ألا وهو مصطلح " الإستراتيجية" الذي عرف وجودا فاعلا في الميادين العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، ليتنقل إلى حقل الدراسات اللغوية والأدبية، ويؤسس لنفسه كيانا مستقلا يُعنى بالعلاقات الممكنة أو المتحققة بين أطراف العملية التواصلية، وما تتيحه كفاءات المتخاطبين المختلفة (تداولية، لغوية، موسوعية...) من مجالات يتحرك فيها كل طرف بغية تحقيق هدفه من إنتاج الخطاب، مستعينا بصورتها "اللغوية (اللسانية) النصية، و"اللسانية الموازية".

كل ذلك في سبيل إظهار ما بين الخطاب، والسياق، والإستراتيجية من وشائج إذا غُيبت، أفقدت هذا المزيج المركب إحدى خصائصه، التي لا يتحقق وجودها إلا باجتماعها.

Summary :

The present article, exposes the term 'strategies' as a linguistic pragmatic concept, transcending the disciplines in which it emerged :military, politics and economics. Actually, after being borrowed by scholars in the field of linguistic and literary studies, this term has taken on a new conceptualisation that is meant for the possible and actual relations between the participants of a speech situation as well as the opportunities given to the interlocutors (pragmatic, linguistic, encyclopaedic,..) in the various life facets in order to achieve his goal from discourse production, seeking help from both its (strategy) forms ; linguistic textual and paralinguistic. Building on this ground, the article aspires to vindicate the

tight link between discourse, context, and strategy, without which the whole discursial amalgam will lose one of its stiking characteristics.

- توطئة:

لعله صار من نافلة القول التذكير، بأن الوظائف التداولية لا تتحدد إلا وفق معيار تواصل (وظيفي)، قد يستغني استغناء كاملاً عن مفهوم البنية - كما لا يضيره إن اتكأ عليها - إذ يمكن أن تُجسد إستراتيجيات التواصل اللغوي في جملة، أو في ما هو أقل، أو أكثر، ولا عبرة إذ ذاك إلا بتأدية الخطاب لوظيفة ما، تأدية تحقق التواصل، أو على حد تعبير طه عبد الرحمن "فلا كلام بغير مخاطب ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطب (بالكسر) ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطب (بالفتح)⁽¹⁾."

ومؤدى هذا القول، أن العلائق النحوية التي يبنى عليها التخاطب، تابعة لهذا الفعل الأخير (أي إضمار التواصل)، لأنه لا يتصور، حشد جمل منعزلة، مفيدة في ذاتها، ولكن غير مفيدة مجتمعة (متعاطلة).

كما يشترط في عملية التواصل - كما ينقل يوسف تغزاوي عن دايك (dijk) - أن "لا تتم بواسطة جمل منعزلة بل بواسطة قطع تطول وقد تقصر، وتتفاوت من حيث درجة صراحتها تبعاً لمخزون المتكلم والمستمع المعلوماتي"⁽²⁾. وهنا يبرز دور السياق التخاطبي، وما له من أهمية في تيسير فهم القصد، قصد المرسل، والوظيفة التي هيمنت على ملفوظه، أي كان حجم هذا الملفظ به.

(1) - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1998، ص: 125.

(2) - يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص: 182.

وهو ما سنحاول ترصده في هذا المقال من خلال ما وطأنا به، واضعين نصب أعيننا هذه العصاراة المركبة من الخطاب، والسياق، والوظيفة، والإستراتيجية، وهي عناصر إذا غُيِّت، أفقدت المزيج إحدى خصائصه، التي لا يتحقق وجوده إلا باجتماعها.

فما المقصود إذن بالإستراتيجية؟ وما علاقتها بالخطاب، والوظيفة، والسياق؟.

1- مفهوم الإستراتيجية⁽¹⁾ الخطابية:

لا بد أن نذكر أولاً - قبل توصيف الإستراتيجية الخطابية - بما لهذا المصطلح من خطر كبير في مجال الدرس التداولي عموماً؛ فهو البوتقة التي تتفاعل فيها مختلف مكونات الخطاب، بوصفه ثمرة اجتماع عناصر متعددة، ومجال تظهر أدوات لغوية، وآليات خطابية منتقاة.

ثم إن تتبع هذه الآليات، كفيل بأن يوصلنا إلى معرفة الكيفية التي تعامل بها المرسل مع المرسل إليه (احترام / إهانة)، (إقناع / تسلط، تنازل عن الموقع الاجتماع / تعال... الخ).

وهو ما يرمي إليه الخطاب - تداولياً - من خلال وظيفتيه الكلّيتين (التعاملية والتفاعلية)؛ بإحالاته إلى مقاصد محددة، قد يشي بها شكل - الخطاب - كما قد يُغيّتها. يسمح فعل التغييب للغة، بأن تصبح شكلاً، ودالاً يقود - بدوره - إلى مدلولات ضمنية، مضمرة، لا تُدرك إلا بتفعيل المعطيات السياقية، والعلاقات

(1) - اختلف في قطع أو وصل همزة معرب (Strategy)، والذي نميل إليه، القطع، جرياً على قواعد القدماء في معاملة غير العربي، كـ (إسطبل)، و (إستبرق)، و (إسطرلاب). ينظر: ابن خالويه، كتاب الألفات، تحقيق: علي حسين البواب، مجلة المورد (العراق) 1982، ص: 137.

التخاطبية، والافتراضات المسبقة، وهنا يبرز دور المرسل في ما يضعه من خطط محكمة (إستراتيجيات)، يتوسّل بها إلى مقاصده وأهدافه، فيسم أطراً لها (الإستراتيجيات) الخطاب، بسمّة تتنامى شيئاً، فشيئاً، حتى تغدو ظاهرة لافتة لها أنساقها اللغوية، وأدواتها الخاصة بها. وفيما يلي محاولة لتتبع حياة هذا المصطلح في منابته المعرفية المختلفة:

- ارتبط مصطلح (Stratégie) بالمجال العسكري الحربي عموماً، وبـ"فن قيادة عمليات جيش مسلح، على مسرح الفعل خصوصاً، ثم درج في استعمالات مختلفة، سياسية، واقتصادية (تجارية)، وأدبية، ... بحيث اكتسب معنى عاماً يدل على كل عمل منسق لأجل تحقيق هدف ما، فيقال: إستراتيجية انتخابية، إستراتيجية تجارية، إستراتيجية سياسية"⁽¹⁾.

ثم انتهى به المطاف إلى المجال الأدبي، فظهر في استعمالات بعض اللسانيين، والنقاد جنباً إلى جنب مع نظرية الألعاب اللغوية لـ"فيتجنشتاين (L.WITTGENSTEIN) ثم السيميائية...

- أدرجه "سعيد علوش" في معجم "المصطلحات الأدبية المعاصرة"، مفهوماً قائماً على ثلاثة أبعاد هي أنه:

(1)- P. Charaudeau et D. Maingueneau, Dictionnaire d'analyse du discours ,Seuil ,Paris, France,1éd,2002,p :548. et voir aussi :Dictionnaire Encyclopédique 2000 , Larousse, Bordas/her,1999,pp :1499-1500. et v :Youssef M.Redha :AL-KamelAL-Kabir plus :Dictionnaire du Français Classique Contemporain ,Français-Arabe, لبنان، بيروت - مكتبة لبنان ناشرون، ص:1271.

(1) مصطلح مقتبس من نظرية اللعب، ودخل إلى السيميائية ليغطي حقلاً إشكالياً يُعدُّ محيطه مبهماً.

(2) مقرون بالسرديات، فميّز بين (السّراتيجية الخطابية)⁽¹⁾ المتعلقة بفاعل العبارة، كطريقة لإقامة خطاب البنيات السردية، وبين (السّراتيجية السردية) التي تستهدف إقامة مسوّدات سردية، تُمكن من توليد الخطابات.

قصد بذلك الإشارة إلى إنشاء هذا المصطلح، وتبنيه من قبل حقول معرفية أخرى، منها "التداولية" التي تبدو في تلميحها إلى بداياتها المضطربة، و"حقلاً من حقول السيميائية يعتبر محيطاً مبهماً.

(3) اقتصاره على السرديات، وتوظيفه ضمن أطرها المصطلحية من خلال مفهوم البرمجة بمعناها الواسع للسردية المعقدة في تكوينها للموضوعات القيمية، وإقامة فاعلين ممثلين يتكفلون بإنجاز برامج سردية ملحقمة"⁽²⁾.

ثم فسر المسوّد السردية*، بأنها خطأ يتم بموجبها تصور السرد، وتسجيل كتابة عمل ما، دون اعتمادها⁽³⁾.

ولنحتفظ بمصطلح (خطّاطة) الذي سنعود إليه بعد أن نوجد تعريفاً، نطمئن إليه لمصطلح (إستراتيجية).

(1) - هذه صورة تعريبه للمصطلح الفرنسي "STRATEGIE"

(2) - سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (لبنان)، و سوشبريس، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1985، ص ص: 109-110.

*المقابل العربي الذي اختاره للمصطلح الفرنسي "Shéma narratif" وهو أقرب ما يكون - في رأينا - لمعاني مادة "خط" في اللغة العربي، ينظر: الصحاح للجوهري، مجلد 3، ص: 368 ويؤديه بصورة أدق مصطلح "خطاطة أو مخطط".

(3) - نفسه: ص: 112.

يرى "ميشيل فوكو" (M.Foucault) أن "الإستراتيجية" مصطلح له معانٍ متعددة بتعدد السياقات التي ترد فيها، وهي عنده على ثلاثة تصورات:

"أولاً، للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

ثانياً، للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء، في لعبة معينة تبعاً لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو؛ باختصار، الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير.

أخيراً للتدليل على مجموع الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام... وعليه تتحدد الإستراتيجية باختيار الحلول الراجعة"⁽¹⁾.

نستشف من تعريف "فوكو" السابق، ارتكاز مفهوم "الإستراتيجية" على خطوات منتظمة لبلوغ هدف محدد، بعضها ذهني، وبعضها لغوي، وبعضها الآخر سلوكي. وهي خاضعة لاعتبارات السياق، وما يتيح من وسائل وظروف، ولذلك عرفت الموسوعة العسكرية بأنها: "علم، وفن ينصرفان إلى الخطط، والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع"⁽²⁾.

(1) - أوبر دريفوس وبول راينوف: ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، تر: جورج أبي صالح، مع مراجعة وشرح: مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت - لبنان، دط، دت، ص: 200.

(2) - هيثم الأيوبي وآخرون: الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، دط، 1981، ج1، ص: 66.

فهي علم بالنظر إلى ما يجب معرفته من قواعد ضمن مفهوم "اللعبة"⁽¹⁾ الفتجنشتانية المتفرعة إلى: قواعد اجتماعية، وقواعد استبدالية، وقواعد نحوية، وكذلك الحال مع كل "لعبة" أخرى؛ إذ لا بد أن تنطلق الإستراتيجية من قواعد علمية، ثابتة تبنى عليها مهارات فردية، تجعلها ناجحة عند فرد من الناس، وغير ذلك عند سواه، وهي بهذا المعنى ومن هذا الوجه، "فنٌّ" بكلّ ما تعنيه الفنية من براعة في الأداء، والتقمص، والإيهام، والتحايل.

يمكن أن نسجل - إذن - أنّ مفهوم الإستراتيجية، مفهوم دخيل على مجال الدراسة اللسانية والأدبية، إلا أنه سرعان ما وجد له مقعداً في منظومتها الاصطلاحية، وهو مصطلح ذو بعدين متجانسين، حفلت بهما المعجمات الغربية على اختلاف مجالاتها؛ البعد الذهني، والبعد المادي، وكلاهما متعلق بمجال حيوي مؤطر له، هو السياق.

إن الإستراتيجية - عموماً - هي تطويع للقواعد - قواعد أية لعبة كانت - مع عناصر السياق المسوّر لها، ومنه صارت فعلاً كثر استعماله في ميادين معرفية، وحضارية مختلفة منها: ميدان الدراسات اللسانية التداولية، وحقل تحليل الخطاب عموماً، فهي بهذا المعنى مصطلح عابر للتخصصات⁽²⁾.

وهو ما يقتضي منّا الإجابة عن سؤال مفترض، حول مؤدّى هذا المصطلح في ارتباطه بالخطاب؟

(1) - ينظر: عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، الجزائر، ص ص: 10-11.

(2) - ينظر: محمود طلحة: تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1، 2012، ص: 139.

2- الإستراتيجية والخطاب:

ينحو "مفهوم الإستراتيجية" في الخطاب، منحى غير بعيد عن المسارات التي سبق ذكرها، لولا اشتغاله أكثر على صور مخصوصة، وعلاقات محددة، مرتبطة باللغة، وقواعدها، وما يدخل ضمن حيزها.

ففي مجال التداولية المعرفية- التي تَمْتَحُّ (1) من علم النفس المعرفي رؤاها وقواعدها- "تُعَرَّفُ الإستراتيجية بأنها سلسلة العمليات التي تعكس الاختيارات المتخذة لأجل الوصول إلى هدف معين" (2) بأقل جهد وأيسر تكلفة، وأوجز مدة. وفي الدراسات المتنامية (3) إلى مجال تحليل الخطاب نجد تعاريف متعددة، تشترك جميعها في التمرکز حول ثلاثة عناصر هي:

1) المرسل (الفاعل)، المتلفظ بالخطاب.

2) الهدف، الممكن أو في حكم الممكن.

3) المحيط، (السياق)، مجموع الإكراهات، أو المساعدات الممكن استثمارها.

(1) - كثيرا ما يُجَرَى بهذا المصطلح مجرى اشتقاقه من مادة (م- ت- ح) إلا أنه في عرف محلي الخطاب مشتق من اسم المَحِّ، وهو خالص كل شيء، ومنه المَحَّة، صُفْرة البيض. ينظر: عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط5، 2006، ص:148

(2) - زكريا السرتي: الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2014، ص: 252.

(3) - ينظر مثلاً: الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ص: 55، 56، والسرتي: الحجاج في الخطاب السياسي، ص ص: 252، 253: فقد أوردنا جُلَّ التعاريف المتبناة من قبل محلي الخطاب.

فلا يكون الخطاب استراتيجيا إلا إذا كان المتلفظ به، مخططا له، واعيا بالشروط الموضوعية والذاتية المحيطة به، محققا لميزة التنظيم في استعماله للغة. فالإستراتيجية الخطابية وفق هذا التصور "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية، وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ لعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل⁽¹⁾.

فإستراتيجية الخطاب-إذن- شكل من أشكال "التحجير" الذي لا يصدر إلا عن رويّة، وتبييت للأفكار والمشاعر، وتحجيش للصور والانفعالات، وتخطيط محكم يستشعر كل هذه الأطراف المؤثرة، وغير المؤثرة في عملية التخاطب ليجعل لكل منها، حظا، ودروا، ومقدارا، تحدده القوة العاقلة، حتى لا يحيد عن الهدف المخطط له.

وهنا يطفو إلى السطح مجددا، مصطلح "الخُطاطة" الذي يشرحه "غريز" (Grize)² في الفقرة الآتية بقوله: "بإمكاننا أن نقول إن التخطيط يعرض موضوعات الفكر التي يشترك المتحاورون في بنائها، لا تبنى هذه الموضوعات من فراغ، وهي في الواقع تستند إلى مجموعة من المعارف المشتركة، التي تتميز بمظهرين أساسيين؛ أولهما

(1) - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 62.

(2) - ننبه هنا إلى لبس يقع فيه كثير من الدارسين حين يخلطون بين اسمي: "جون بليز غريز"

(JEAN-BLAISE GRIZE 1922-2013) و"هربرت بول غرايس" (H.paul Grice 1988-) (1913).

هو كونها، ليس فقط مشتركة، ولكن كل طرف يعرف بأن الآخر يعرف كذلك، وثانيهما هو كونها موجودة بشكل دائم، وذات طبيعة اجتماعية⁽¹⁾.

فمفهوم التخطيط عند "غريز" قائم على التشارك، والتبادل، والتفاعل، والوعي، وهو رسم بياني، ذهني، أولي قابل للتنفيذ من قبل (فاعل) كفءٍ واعٍ بما هو موجود حوله، هدفه دفع المرسل إليه، إلى تبني فكرة أو التخلي عنها، أو القيام برد فعل أو سلوك، في إطار المصلحة المشتركة، ولا يخفى ما لهذا المفهوم من ارتباط بالكفاءة التي يجب أن يتمتع بها هذا الفاعل، المنفذ "للخطاطة الخطابية"⁽²⁾.

2-1- الإستراتيجية في الخطاب العربي القديم:

قبل أن نجاري المنهجية العلمية، ونبحث في مفهوم "الكفاءة" أو "الكفاية" أو "القدرة التواصلية" - على اختلاف معهود في الاصطلاح عليها- لا بد أن نحيل متلقي هذه الصفحات إلى عباب زاخر من التعاريف في فلك البلاغة والنقد، خصوصا، وعلوم اللغة والأدب عموما، والتي تحمل في طياتها، إشارات قيّمة إلى انتهاج الخطيب العربي (أي متكلم اللغة العربية)، خططا خطابية قبل تصدره المجالس، أو اعتلائه أعواد المنابر.

(1)- JEAN-BLAISE GRIZE : logique naturelle, et représentations sociales, Invited Lecture Presented at the 1st International Conférence on Social Représentation, Ravello, Italy, 1992, p :3.

(2) - نقترح استعمال هذا المصطلح بدل "الإستراتيجية الخطابية"، لما له من نسب عريق في معجمتنا العربية، ولكفاءته في أداء ما يصبو إليه المخاطب/المرسل من مرام، وأهداف، وما يحيل إليه من حيثيات، وظروف محيطة بالخطاب منذ وهلته الأولى؛ مذ يكون خاطرا إلى أن يصير شكلا، له خصائصه المميزة له.

وقد سأل معاوية بن أبي سفيان، صحار بن عياش العبدي (40هـ) عن سر بلاغته وقومه، فأجابه بما يوحى إلى التحبير، والتدبير، والتخطيط، والإعداد المسبق، قبل التلفظ قائلاً: "شيء تحيى به صدورنا، تقذفه على ألسنتنا" ⁽¹⁾، ولا شك أنه يقصد "بالتحيى استيفاء المعاني حقها من التمهيص، والتدبير، والترتيب في النفس قبل "قذفها" على الألسنة.

ولا يخفى ما لهذا التوصيف المبكر من دلالة على وعي الخطيب العربي بقيمة التخطيط قبل ممارسة الفعل الخطابي، ولذلك كانوا يؤثرون الصمت قبل الخطبة، وكأنهم يقتصدون في الكلام، ويقرونه، ويستجمعون جهدهم قبل التلفظ به، زيادة في فرص إصابة المعاني والغايات، ولو أردنا تتبع ذلك في مؤلفاتنا التراثية، لجمعنا سفراً عظيماً، ينوء بالعصبة أولى القوة، ولكن سنكتفي بالإشارة دون العبارة، تماشياً مع مقام البحث، من خلال طرق بابي علميّن من أعلام البلاغة والنقد، هما: "الجاحظ" و"عبد القاهر الجرجاني".

أما الجاحظ فقد جمع في كتابه "البيان والتبيين" فأوعى، وكاد يأتي على كل ما له صلة "بالكلمة" من مبدئها إلى منتهاها، وإن كان الشاهد - في هذا المقام - استعماله مصطلح "البُغية" في رسالة "المعاش والمعاد" حين يقول: "...واجب على كل حكيم أن يحسن الارتداد لموضع البغية، وأن يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها، فإنها حمدت العلماء بحسن الثبوت في أوائل الأمور واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب" ⁽²⁾.

(1) - أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط: 2، 1960م، ج1، ص: 96.

(2) - الجاحظ: مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، دط، 1983، ص: 122.

وهو هنا يقصد " البُغية " الهدف أو الغاية من كل عملية فكرية، فوسم في هذه العبارة "منتجا عقليا كاملا [...] وانظر بدقة إلى العبارة الأخيرة (واستشفافهم بعقولهم ما تحيي به العواقب) تجدها تعبيراً عن عملية " التخطيط " وما التخطيط؟ هو رسم لخطة السير رسماً يمكنك منذ البدء معه معرفة النتائج⁽¹⁾ قبل وقوعها ثم إن التخطيط السديد - حسب الجاحظ- ما راعى فيه صاحبه الواقع، لا الأوهام تماماً كما دعا إلى ذلك ، "غريز" عندما أفصى الموضوعات التي تبنى على "فراغ" والتي لا تستند إلى ما أطلق عليه "المعرفة المشتركة".

وأما "الجرجاني" عبد القاهر، فإذا قرأنا كتابيه: "أسرار البلاغة" و"إعجاز القرآن" أدركنا كم هي قوية تلك الصلة التي تنظم، الجرجاني في أوائل القرن الحادي عشر (توفي 1078) وبرتранد رسل في القرن العشرين (توفي 1970) فالفكرة عندهما واحدة من حيث الأساس وهو أن المعنى كائن في طريقة الترتيب...⁽²⁾.

ولولا هذا الترتيب لخرج الكلام من " كمال البيان إلى مجال الهذيان [...] وفي ثبوت هذا الأصل، ما تعلم به أن المعنى الذي كانت له هذه الكلم بيت شعر أو فصل خطاب، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة. وهذا الحكم - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المترتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل"⁽³⁾.

(1) - زكي نجيب محمود: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشرق - بيروت - لبنان، ط3، 1981، ص ص: 152، 153، 154.

(2) - السابق: ص: 248.

(3) - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، راجعه وعلق عليه، عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت - لبنان، ط1، 2006، ص: 16.

فحصول الكلام لا يكون إلا عبر مسلكين؛ مسلكٍ ذهنيٍّ، محكومٍ بقوانينٍ عقليةٍ، منطقيةٍ، تقدم وتؤخر المعاني بحسب ما تقتضيه في ذاتها، وبحسب ما تفرضه علاقتها بما حولها من عالم الأشياء، أي بحسب (السياق)، ومسلكٍ آخرٍ ماديٍّ، هو صورة المعنى اللفظية، التي تقع عليها الحواس، وتطالها الأحكام والقواعد، قواعد النحو وغيره، وهذا-لعمري- هو "الإستراتيجية الخطابية"، وكون هذه الإستراتيجية، "تعتمد على كفاءة الإنسان التداولية، وصناعتها لخطابه فإنه يلتمس الناس في مستواها، والتفاوت في مكان المزية في خطاباتهم."⁽¹⁾

إن سعي المرسل إلى توظيف إستراتيجية معينة، لا يتم إلا إذا امتلك قدرة أو قوة تواصلية تتجاوز قوته اللغوية، إذ لا يتم له بلوغ "بغيته" بتعبير الجاحظ، بسوى حشد ملكات هي جوهر جهاز التواصل، وهو ما اصطلح عليه بالقوة (الكفاءة) التواصلية (التداولية).

3) الكفاءة التداولية (التواصلية): (COMMUNICATIVE)*

COMPETENCE)

أدركنا فيما سبق أن الإستراتيجية الخطابية، ليست شكلا بسيطا من أشكال التواصل، فهي نتيجة مكونات شتى، تتفاعل فيما بينها مجتمعة، كي تخرج الخطاب إخراجا معينا، يتيح له تحقيق مراميه، فبدءا بالتخطيط الذهني، ووصولاً إلى التلفظ،

(1) - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 61.

*هناك مصطلحات كثيرة تقابل هذا المصطلح الأجنبي أشهرها: " القدرة / الكفاءة / الكفاية / الملكة _ الإبداعية / التبليغية / التداولية / التواصلية / الأدائية. للاستزادة، ينظر: عز الدين البوشيخي: التواصل اللغوي، مقارنة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2012، ص ص: 29_30.

مرورا بما تعرضه عناصر السياق من سلطة، إما بحضورها أو بغياب بعضها... يجد المرسل (الفاعل) نفسه إزاء وضعيات تخاطبية معقدة، مستفزة، تعيق مساره إلى هدفه؛ ولا سبيل له إلى تلافيها، أو تجاوزها، أو استثمارها لصالحه، إلا أن يعتمد على كفاءته الذاتية، بوصفها منبع القوة التي "تولد لديه الخيارات الممكنة في ذهنه لاختيار أنسبها"⁽¹⁾ والتي نسميها، "إستراتيجيات خطابية" ولا شك في أنها لا تنفك وجودا، وعدما، وثناء، وقلة - تلازم هذه الكفاءة - التداولية، لا تبرحها.

وقد فطن اللغويون قديما، وحديثا لما تؤديه هذه القدرة، وتصنعه من فوارق بين المتكلمين، على الرغم من تساويهم في ما سوى ذلك من ملابسات السياق؛ فجعلها "تشومسكي" (مايزال حيا-1928 Chomsky) مفهوما أساسا في النظرية التوليدية التحويلية، وهي عنده ذات بعدين هما: القدرة / الأداء / (Performance / Compétence)⁽²⁾.

وقد محض هذا المصطلح اهتماما خاصا، وإن قصره على ما أسماه بـ "الملكة أو الكفاءة النحوية / اللغوية/ اللسانية/ النصية، وهي عنده: "القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل..."⁽³⁾. ويقف هذا المفهوم في مقابل ما جاءت به الدراسات الإثنية للاتصال، حيث ترى أن مفهوم الكفاءة النحوية التشومسكية، قاصر عن أداء لغوي شامل يتماشى

(1) - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 61.

(2) - ينظر: بريجيت بارثشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004، القاهرة - مصر - ص: 284 وما بعدها.

(3) - دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ص: 22، 23.

والمقامات والأحوال المتنوعة، واستبدلته بمفهوم الكفاءة الاتصالية، أو التواصلية...ف" لكي يقيض للفرد الكلام، لا بد أن يحسن استعمال اللغة بكيفية مناسبة، تتماشى والمقامات والأحوال المتنوعة"⁽¹⁾.

لأن الكفاءة اللغوية لا يمكنها منفردة أن تحقق المنوط بها فهي على الرغم من أهميتها" تظل مع ذلك ذات طابع تجريدي (Obstrait)، ومؤمثل (Idéal)، بمعنى أنها لا تشكل داخل المجموعة اللسانية الواحدة موضوعاً منسجماً (Homogène) وموحداً حتى تختلف وتتفاوت داخل نفس المجموعة اللسانية"⁽²⁾، بسبب تفاوت الناس في ثقافتهم، وطبقاتهم الاجتماعية، وحظهم من العلم، والفهم، والذكاء... وغيرها، مما تجد صورته في قصور البعض في التعبير عن القصد، أو الوقوف دون الغاية، أو العي وعدم القدرة على الإبانة مع توافر الأسباب، وتحقيق الشروط وتماثل الظروف⁽³⁾.

وقد استوجب قصور الكفاءة اللغوية عن تحقيق التواصل، تعضيدها، بكفاءات أخرى، تنبني عليها، يشملها مسمى "الكفاءة التداولية (التواصلية)" وهي:

(1) - السابق: الصفحة نفسها.

(2) - إدريس سرحان: التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات، وأنواع الكفايات " ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص: 161.

(3) - وقد أشار الجرجاني إلى ذلك، في غير ما موضع من دلائل الإعجاز. ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، دط، دت، ص: 34 وما بعدها.

- الكفاءة البلاغية والكفاءة الموسوعية والكفاءة المنطقية، والحوار التالي يوضح كيفية تفاعل الكفاءة التداولية، والكفاءة اللغوية في تأويل الملفوظ من لدن المخاطب تأويلاً يؤيده السياق، وعناصره:

أ: أتريد فنجاناً من القهوة؟

ب: شكراً، إنها تمنعني النوم.

فلا يمكن تحديد موقف "ب" إلا بالعودة إلى مقام التلفظ، مع ما يشترط من كفايات، تداولية، إذ لا بد أن يكون "أ" مُلماً ببعض الكفايات التي توصله إلى تحليل عبارة "القهوة تمنعني النوم".

- القهوة تحتوي ← الكافيين ← يمنع النوم.

- المقام التواصلية:

1- إذا كان ليلاً: أريد أن أنام باكراً ← لا أريد أن أشرب، شكراً على الدعوة.

2- إذا كان "ب" منكبا على عمل يريد أن ينجزه قبل أن ينام ← نعم أريد أن أشرب، شكراً لك على المساعدة.

ففي هذا التحليل نجد توظيفاً معقداً لمعارف غير لسانية، (القرائن النطقية الموازية) ومعارف تداولية، بعضها بلاغي "الاستفهام، التوكيد" وبعضها موسوعي "الكافيين يمنع النوم وهو من مكونات القهوة"، وبعضها الآخر منطقي فـ"شرب القهوة التي تحتوي على الكافيين يؤدي منطقياً إلى عدم النوم" بالإضافة -طبعاً- للكفاءة النحوية التي تضم القواعد الصرفية، والصوتية، والتركيبية، والمعجمية، وكل ما يخص قدرة الفرد على الحكم بالصحة النحوية، والدلالية، أو بعدمها على ما يسمعه من جمل في لسانه القومي، وكذا قدرته على إعادة تنظيم نحو يكون قد استوعبه من

قبل، أو إحداث تعديل في قواعد تخص إنتاج الجمل... وقبوله عناصر جديدة في معجم لغته"⁽¹⁾.

ومن هنا نستنتج نوعين من الكفاءات* هما:

1) الكفاءة النحوية (اللسانية) وتضم "الكفايات اللسانية" و"شبه اللسانية الموازية" (القواعد الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية..+ طريقة النطق والتنغيم، والنبر...).

2) الكفاءة التداولية (التواصلية): وتشمل:

أ- الكفاءة البلاغية – التداولية.

ب- الكفاءة الموسوعية.

ج- الكفاءة المنطقية.

- واقترح "سيمون دايك" (Simon C. Dik 1940-1995) نمطين من

معايير الكفاءة:

- معيار الكفاءة الوصفية [لنحوية] (بالمفهوم التشومسكي).

(1) - Wunderlide, programmatique, situation d'énonciation et dexis نقلا عن

إدريس سرحان: التأويل الدلالي – التداولي، ضمن "التداوليات علم استعمال اللغة"، ص: 162.

*- هناك تضارب كبير في تقسيم الكفاءات لعل مرده إلى عاملين أساسيين هما: "الترجمة، ومجال الاشتغال"، إذ نجد في المنحنى الوظيفي تقسيم الكفاءات إلى: "الكفاءة الوصفية التشومسكية" والكفاءة التفسيرية والتي تضم بدورها: الكفاءة النفسية، والكفاءة التداولية والكفاءة النمطية"، للتعلم أكثر في هذا المفهوم، ينظر: عز الدين البوشيخي: التواصل اللغوي، مقارنة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، ص: 13_47. وينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية، ص: 98.

- ومعيار الكفاية التفسيرية [التداولية، التواصلية].

وتتفرع عن هذا الأخير أصناف الكفايات الآتية:

- الكفاية النفسية.

- الكفاية التداولية [البلاغية].

- والكفاية النمطية ⁽¹⁾.

وهو تقسيم يخالف ما جاء به "المتوكل" نقلا عن "دايك" نفسه، فقد جعل الكفاءة التداولية (التواصلية) متألفة لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، وهي:

(1) الملكة اللغوية: وبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول، إنتاجا وتأويلا صحيحين، عبارات ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

(2) الملكة المنطقية: وتحتزل ما يحتزله مستعمل اللغة من معارف (أصول)، تمكنه من اشتقاق معارف أخرى (نوعية) بواسطة قواعد استدلال تخضع للمنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

(3) الملكة المعرفية: وهي الرصيد (الخزان المنظم للمعارف، يستحضر منه ما شاء ومت شاء لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

(4) الملكة الإدراكية: وتختص بإدراك مستعمل اللغة الطبيعية، لما يحيط به، فيعدل

(1) - يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية، ص: 98. وينظر مفصلا: البوشيخي: التواصل اللغوي: ص ص: 42_45.

أو يستنبط منه معارف يوظفها في أثناء تواصله.

5) الملكة الاجتماعية: وتتعلق بكيفية "القول" لأن مستعمل اللغة الطبيعية، لا يعرف فحسب ما يقول، وإنما عليه أن يعرف كيف يقول.

ثم كفّل لكل ملكة، قلباً ينتمي إليها، وهي: القلب اللغوي، والقلب المنطقي، والقلب المعرفي، والقلب الإدراكي، والقلب الاجتماعي، ويشملها نموذجان عامان هما:

1) قوالب الآلات وتضم النحوي، والمنطقي.

2) وقوالب مخازن، وتضم المعرفي، والإدراكي، والاجتماعي⁽¹⁾.

وقد وجدنا تقسيماً آخر ينسب إلى "المتوكل"، ملكة سادسة، هي الملكة "البيانية"* أو الشعرية وهي "تلك الملكة التي تمكن فئة المبدعين بصفة خاصة من إنتاج الأثر الفني وقد اقترح أفراد قلب خاص بها، أي القلب البلاغي، يحوي القواعد والمبادئ التي يتفاعل بها مع القوالب الأخرى، لينصف الآثار الفنية ويفسرها"⁽²⁾.

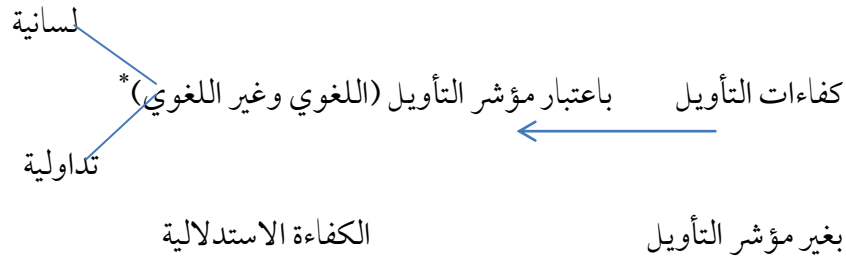
(1) - ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل

الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط - المغرب، 1995، ص: 17، 30.

* مصطلح اقترحه - أستاذنا - "يحيى بعبطيش" بدل "الملكة الشعرية" لأنه في نظره أشمل وأدق، ينظر: يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، إشراف: أ.د عبد الله بوخلخال، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، 2005-2006، ص: 128.

(2) - نفسه: ص: 129.

وذهب "عبد السلام إسماعيلي علوي" مذهباً متفرداً، وهو يتحدث عن الكفاءات التي يجب أن يحوزها المؤول، في قوله: "يمكن أن نصنف الكفاءات المطلوبة في التأويل انسجاماً وتصنيف مؤشرات التأويل، إلى صنفين: لسانية وتداولية، وبغير هذا الاعتبار ينضاف إليهما صنف ثالث، وهو الكفاءة الاستدلالية[التي] تتدخل[...] للربط بين ما يعرضه المرسل، وبين ما توفر لدينا بموجب كفاءاتنا اللسانية، والتداولية من أجل الوصول أخيراً إلى المعنى المقصود [...] وهكذا كان التأويل يقوم على ثلاثة أنواع من الكفاءات؛ كفاءة لسانية معيارية، وكفاءة تداولية معرفية، وكفاءة استدلالية عملية"⁽¹⁾ وينتج عن هذا الطرح تقسيم جديد للكفاءات العامة، وما ينضوي تحتها، يوضحه المخطط الذهني الآتي:



خطط بياني-أ-: يجسد أنواع كفاءات التأويل.

(1)- عبد السلام إسماعيلي علوي: تداوليات التأويل، ضمن "التداوليات علم استعمال اللغة"، ص 219، 220.

*- يقصد كل قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي (الحرفي)، مثل قوله تعالى: "فَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ"، فالمؤشر هنا ما يؤخذ من خصائص الملفوظ التوزيعية، لأن الفعل سكت لا يصح توزيعه مع الفاعل "الغضب" لشذوذه. ما يلزم التأويل، وقد يؤخذ مؤشر التأويل من حقل "خارج لساني" "غير لغوي" إذا انتفى الوصف السابق.

وتنشطر الكفاءة التداولية بدورها إلى:

الكفاءة السياقية الحالية (السياق المقامي)

(2) الكفاءة التداولية

الكفاءة الموسوعية (المعارف المشتركة السابقة الفردية والجمعية).

مخطط بياني ب-: يوضح ارتباط قسمي الكفاءة التداولية بالسياق.

إن هذا التشعب المصطلحي الذي نصطدم به كل مرة ، ليوحي حقا بمقدار ما يعانيه الباحث العربي من مشقة نفسية، ومعرفية، في سبيل تكوين رؤيا واضحة المعالم، إلى ما يبحث فيه، ولعل أول ما يتبادر إلى أذهاننا بعيدا عن كُنْه أسباب هذا الاضطراب هو ما المقصود بالكفاءة التداولية؟ وهل هي ذات تصور واحد أم، أن لها صورتين؟

قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة المتزاخمة على عقل متلقي هذه المصطلحات والتصورات، لا بد أن ننوه إلى مجهود الباحث الجزائري، "يحيي بعبطيش"، بتتبعه مسار تطور نظرية النحو الوظيفي العربية، عند المتوكل خصوصا.

ولعل هذا التنويه أن يسهل علينا البحث عن مبررات مقنعة، تشفي هذا الجرح الذي لا يبرأ فتقه لكثرة "المشارط" المصطلحية فيه، حتى صار هذا الحقل "كرنفالية اصطلاحية"⁽¹⁾، أفقدت الترجمة ضرورتها الحضارية والتاريخية والمعرفية، وحولت المصطلح من أداة تواصلية، حوارية دينامية، إلى وسيلة تعمية مقننة، تحول دون المعنى، كما يحول العمى دون إبصار الحقائق الواضحة، فقد أمارط اللثام عن

(1) - على حد تعبير، عمر أوكان، وهو يعرض مشكلة "الترجمة والمصطلح البلاغي قديما وحديثا"، ضمن "اللغة والخطاب"، ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط:1، 2011، ص: 163.

النماذج التي أفرزها "التأثر المتوكلي" بالنظرية النحوية الغربية، خاصة، نظرية النحو الوظيفي عند "سيمون دايك"، وما نتج عن هذا التأثر المتعاقب* من تطور وتطوير لمكونات النحو الوظيفي، ومنها، مفهومه للكفاءة الذي أخذت منحى تصاعديا، من خلال نهائجه الثلاثة "المعيار" و"ما قبل المعيار" و"ما بعد المعيار".

وإن كنا نردُّ ما يقع فيه الباحثون من لبس، إلى عدم اتضاح ملمح النموذج الثالث "ما بعد المعيار"، و"هو النموذج الذي لا يزال في طور النشأة، والتعديل، والتحسين، وهو بحاجة إلى بحوث مستفيضة، وعديدة، تمحص الفرضية التي طرحها [...] ومفادها أن هناك بنية نموذجية تبليغية واحدة، يصطلح على تسميتها بـ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية"⁽¹⁾ وهو نموذج يعمم نظرية "التماثل الوظيفي البنيوي لبنية الخطاب الطبيعي العامة، على جميع أقسام الخطاب، بجميع مستوياته (اللغوية/ غير اللغوية) في إشارات الصم والبكم، والموسيقى والرسم والسينما... ولذلك - نرتضي - ما دام النموذج لا يزال خَدَاجًا - تقسيما موسعا، توافقيا، يتوسل بالكفاءات على اختلاف تسمياتها، ما أضافت لتحليل المدونات العربية جديدا، وما أسهمت في إضاءة زواياها المظلمة.

* لا نغمت المتوكل - كذلك تأثيره - في مسيرة النحو الوظيفي عربيا، وغربيا، فإليه يرجع فضل إضافة "وظيفة المنادى" (Vocative)، ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص: 7.

⁽¹⁾ - يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 130.

إن مفهوم "الكفاءة التداولية"^{*} (التواصلية) - في ضوء ما سلف - يتشكل من تصورات مشتركة، بعضها "لساني" (لغوي)، وبعضها غير "لساني"، وتعد كفاءةً لسانيةً كُلُّ "معرفة ضمنية بقواعد اللغة، وهي معرفة قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة⁽¹⁾ تصحبها قرائن لفظية، تعرف بأنها" عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية، بأن تقول هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به أو غير ذلك [...]. والقرائن اللفظية هي:

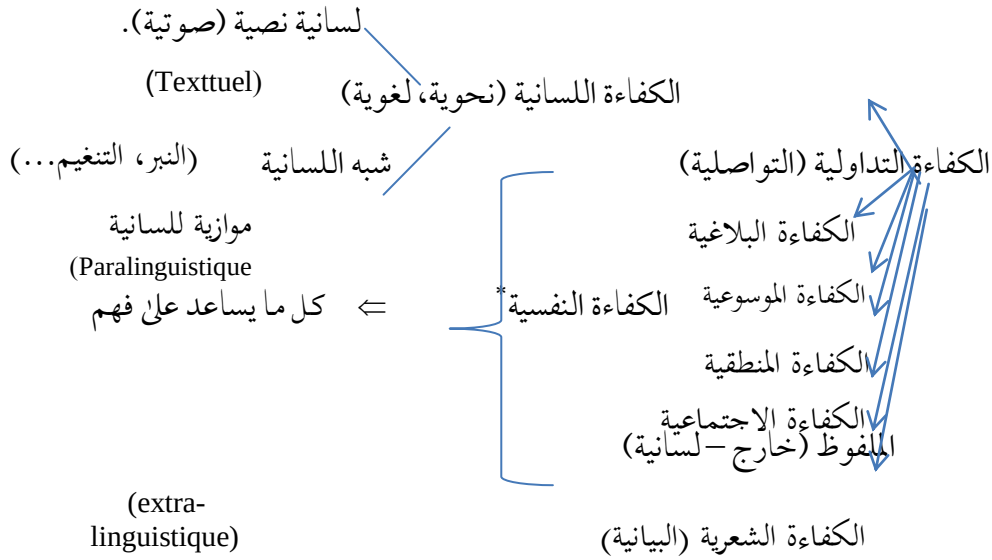
- (1) العلامة الإعرابية.
 - (2) الصيغة (الأسماء، الأفعال، الصفات...).
 - (3) الرتبة (موقع الكلمة).
 - (4) المطابقة (الصيغ، الصرفية، والضمائر).
 - (5) الربط الذي يعدل عنه بالالتفات، والتغليب، وحرف الربط.
 - (6) التضام، وله وجهان هما: التوارد، والتنافي.
 - (7) الأداة، مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي.
 - (8) النغمة، أو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق⁽²⁾.
- وينتمي بعض هذه القرائن إلى خارج الخطاب، وبعضها الآخر إلى داخله، حيث، تضم المجموعة الأولى: القرائن الموضوعية، والذاتية الخارجة عن النص،

* نستعمل مصطلح " الكفاءة التداولية متساوقاً مع معنى التواصلية" لدفع لبس التفرعات السابقة.

(1) - ينظر: نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية..، ص: 128.

(2) - ينظر: السابق، ص ص: 127 - 128.

وتشمل القرائن اللسانية؛ أي كل ما يرافق الكلام من إيماءات وحركات، وتغيرات في تقاسيم الوجه... والقرائن شبه اللسانية؛ وتجمع القرائن الراجعة إلى مقام التخاطب (بكل عناصره)، والقرائن الراجعة إلى ذاتية المتخاطبين، ومقاصدهم، وما يعرفه كل منهما عن الآخر من طبائع، وعادات وتقاليد، ومعتقدات... أما المجموعة الثانية، فتشتمل القرائن اللسانية (صوتية، وصرفية، وتركيبية، ومعجمية)، وشبه اللسانية (كالنبر، والتنغيم، والضحك)⁽¹⁾، ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:



مخطط (ج): أنواع الكفاءة التداولية.

(1) - ينظر: إدريس سرحان: "التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول" ضمن "التداوليات علم استعمال اللغة"، ص ص: 142 - 143.

* - هذه الكفاءات، ذكرها المتوكل لما كان بصدد الحديث عن الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية، ينظر: المتوكل، الوظائف التداولية، ص: 10.

- خاتمة:

إن تداخل التصورات السابقة في تشكيل، مفهوم "الكفاءة التداولية (التواصلية)"، هو الذي يسمح لنا بطرح أسئلة التداولية، الساعية إلى استنطاق كل ما يحيط بالخطاب؛ فحتى نحصل على صورة كاملة للغة في السياق "لا بد من دراسة العلاقات بين المخاطبين، وما يتبادلونه من خطابات، ونصوص، ومعرفة أن الوظيفة الاجتماعية للخطاب تتغير بمكان الإرسال، وما يحيط بها من ملابسات غير لسانية"⁽¹⁾.

ومنه نجيب عن أسئلة مضمرة بالقوة، على شاكلة:

- 1- من أنا حتى أكلّم المخاطب بهذه الطريقة؟
- 2- من هو لأكلّمه بهذه الطريقة؟
- 3- من أنا ليكلّمني بهذه الطريقة؟
- 4- من هو ليكلّمني بهذه الطريقة؟
- 5- كيف يجب أن أكلّمه؟ (الطريقة).
- 6- أين أكلّمه الآن؟ (ظروف المكان)؟
- 7- متى أكلّمه؟ (ظروف الزمان)؟
- 8- متى يجب أن أقول له؟ (المحتوى) / (أن لا أقول له).

وبهذا ندرك الصلة الوثيقة بين الكفاءة التداولية، والإستراتيجية الخطابية، (باعتبارهما جماع التواصل) والسياق الذي ما فتئنا نشير إلى محوريته، وعظيم

(1) - بشير إبربر: رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط:1، 2009، ص: 208، 209.

دوره في جميع أدوار العملية التواصلية - وإن لم نفرد له عنواناً -، فاستعمال اللغة هو الذي يخرجها من حالة السكون، لأن "ما يتم التبادل به ليس اللغة (وفق سوسور) بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج، أي من السوق اللغوي (marché linguistique)، وبالتالي يكتسب هذا الخطاب قيمة رمزية تنبع من التجارب الفردية، ومن التضمين والإيحاء، حيث يبنى التواصل بين المتحدثين، كونهم الممثلين الاجتماعيين، على مبدأ الحوارية وتعدد الأصوات"⁽¹⁾.

وهو ما ندعو إلى تبنيه، من خلال عرض الخطابات العربية؛ محدّثها، وتراثيها، على مستويات الكفاءة التداولية، إن في صورتها "اللغوية (اللسانية) النصية، أو "اللسانية الموازية".

(1) - بيار أشار: سوسولوجيا اللغة، تعريب، عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، ط 1، 1996، ص: 10 (مقدمة المعرّب).